المقاصد الحجاجية في الخطاب الديني
مقاربة تداولية حجاجية في "خطب الإمام علي بن أبي طالب"

Argumentative intentions in religious discourse A pragmatic argumentative analysis of Imam Ali Ibn Abi Talib's sermons.

طالب دكتوراه/ محمد فارح
الأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف حني

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف(الجزائر)
مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الطارف.
farah-mohammed@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/02/22 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

يحاول هذا البحث أن يقف على الملامح الحجاجية في الخطاب الديني، باعتباره أحد الوسائل الهامة التي استعملت لتوجيه المتلقين إلى مسالك معينة، تتعلق أساسا بالتوجيه الديني وما يتعلق به من أمور السياسة وحفظ الرعية، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بالخطاب الديني كالوعظ والإرشاد ونحو ذلك. ويهدف البحث إلى إعطاء قراءة جديدة لخطب الإمام عليّ-رضي الله عنه-في ضوء المقاربات اللسانية الحديثة، وخاصة المقاربة التداولية والحجاجية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ الآليات؛ التأثير؛ التواصل؛ التبليغ؛ التوجيه.

Abstract:

This research tries to uncover the argumentative aspects in religious discourse viewed as one important mean used to orient recievers to a specific behavior which concerns religious guidance and all what is related to politics, to the protection of citizens and the religious sermons. The research aims to provide a new reading to the Imam Ali's sermons in the light of modern linguistics approaches, especially the pragmatic and argumentative models.

key words: Discourse; mechanisms; influence; communication; informing; guiding

مقدمة:

تعد المقاصد الحجاجية في الخطاب عموما وفي الخطاب الديني أحد المسائل المهمة على صعيد إنشاء الخطابات كونها أحد الأسس المحورية؛ حيث يلجأ المخاطِب إلى تضمين خطابه هذه المقاصد حتى يضمن له النجاح على مستوى العملية التخاطبية والتواصلية، وعلى صعيد التلقي؛ ذلك أن المتلقي يحاول استنطاق بنيات الخطاب والبحث عن تلك التي تثير فيه نوعا من التأثير حتى يحاول بناء مقام تواصلي من خلالها، وتعد الخطب الدينية من أهم الخطابات التي تتضمن هذه المقاصد؛ وذلك راجع إلى مكانة الخطابة في الدين الإسلامي، ودورها الفعال الذي تؤديه داخل المجتمع، والإسهام القوي في توجيه الأعمال والأفعال من خلال البنية اللغوية والآليات التداولية، فاعتماد الخطيب على المقام في بناء خطبته يجعل منها خطبة ذات بناء سليم وقوي ومتماسك وذات فعالية كبيرة.

تناولت هذه الدراسة خطب الإمام "عليّ رضي الله عنه" في ضوء الدراسات اللسانية والتداولية، بحثا عن مقاصدها الحجاجية التي تضمنتها هذه الخطب حتى أنتجت لنا خطابا حجاجيا ناجحا.

أولا-الإطار المفاهيمي:

1-المقاصد:

تعددت مفاهيم المقاصد بحسب المجال الذي تشتغل فيه، فالقصد في اللسانيات النصية هو «أحد معايير النصانية التي حددها روبرت دو بوجراند ودريسلر، والقصد يتضمن موقف منتج النص لإنتاج نص متناسق ومتماسك باعتبار منتج النص فاعلا في اللغة ومؤثرا في تشكلها وتركيبها»[1]، أي ذلك الموقف الذي استدعى من منتج النص أن ينتج نصه.

أما في اللسانيات التداولية فإن القصد هو القاعدة التي صاغها "طه عبد الرحمان" من مبدأ عام يتمثل في مبدأ التصديق، فيقول: «كما تتفرع على مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي قواعد قمنا باستقرائها من التراث الإسلامي العربي، ونجملها هنا في ثلاث مع صيغها على مقتضى قواعد التخاطب المعلومة:

أ- قاعدة القصد:

- لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

ب- قاعدة الصدق:

- لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.

ج- قاعدة الإخلاص:

- لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك.»[2]

2-المقصد الحجاجي:

وهو غرض يرتكز على الآليات الحجاجية التي يوظفها المخاطِب من خلال «جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل، ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة المادية (الحجة غير الصناعية) المعتمدة على الوقائع الموضوعية (العقود والشهادات)، وعلى الخلفية العامة المكوّنة من آراء المجتمع (ما يهم الأخلاق مثلا)، ويتحقق هذا الغرض من جهة أخرى بالحجة المنطقية وشبه المنطقية (الصناعية)»[3]، فالآليات الحجاجية تقوم على توجيه ذهن المخاطَب وحمله على تبني ما يعتقده المخاطِب، من خلال «التأثير في المستمع واستمالته إلى فعل معين انطلاقا من قضية الخلاف التي تكون بينه وبين المتكلم»[4]، فبنية الحجاج ومقاصده إنما تشتغل في مواضع الاختلاف الحاصلة في موقف معين بين المخاطِب والمخاطَب.

3-الخطاب:

عرف مصطلح الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة عدة تعريفات، واختلف فيه اختلافا كبيرا، وأول من أشار إلى هذا المصطلح العالم اللساني "زاليغ هاريس Zellig Harris" حين نشر في مجلة "اللغة" مقالا له بعنوان "تحليل الخطاب"، وعرفه بأنه: «عبارة عن ملفوظ طويل أو سلسلة من الجمل»[5] غير أن هذا التعريف يجعل مصطلح الخطاب يرادف مصطلحا آخر وهو النص؛ فالنص عبارة عن سلسة من الجمل، كما نجد "إيميل بنفنيست Emile Benveniste" يعرفه بقوله: «عبارة عن ملفوظ ينظر إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وهو كل تلفظ مرسل ومستقبل للمرسلة اللغوية، يفترض عند الباث قصد التأثير على المتلقي بكيفية ما»[6]، فالخطاب حسب "بنفنيست" يعمل على التأثير في المتلقي من خلال تضافر الظروف المقامية التي ينشأ فيها الخطاب.

من خلال هذه التعريفات يمكن أن نقول: إن الخطاب هو كل تشكيل يؤدي دلالة معينة، يرتكز على مقام ليؤدي وظيفة اتصالية يهدف إلى توجيه ذهن المتلقي إلى وجهة محددة.

ثانيا-المقاصد الحجاجية في "خطب الإمام عليّ رضي الله عنه":

1-الروابط والعوامل الحجاجية:

تزخر خطب الإمام "عليّ رضي الله عنه"* بالروابط والعوامل الحجاجية؛ ذلك أن الإمام بنى هذه الخطب على سلمية حجاجية إقناعية، حاول فيها أن ينزل المتلقين لهذه الخطب في

منازل مختلفة، ولذلك نوّع بين الروابط والعوامل الحجاجية حتى يكون خطابه خطابا حجاجيا بامتياز.

1-1 الروابط الحجاجية:

يرى "أبو بكر العزاوي" أن الروابط الحجاجية تقوم بالربط «بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن إذ...الخ»[7]، فالروابط تعمل على الربط ووصل الحجج بعضها ببعض.

1-1-1 الرابط "حتى":

يعدّ هذا الرابط من الروابط المهمة التي تستعمل لإدراج الحجج، ويصنف من الروابط المتساوقة، حيث «يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة، بل إن العمل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليّه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة»[8]، وقد ورد استعمال هذا الرابط في خطب الإمام رضي الله عنه، ومن ذلك قوله:

«أيها اللاهي الغار بنفسه كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرع لك بابا، ولا يهاب لك حجابا، ولا يقبل منك بديلا، ولا يأخذ منك كفيلا، ولا يرحم لا صغيرا، ولا يوقر فيك كبيرًا، حتى يؤديك إلى قعر مظلمة».[9]

نلاحظ من خلال بنية الملفوظ أن الإمام أتى بهذا الرابط حتى يجعل ما بعده غاية لما قبله، «وللمعطوف بـ "حتى" عند النحاة العرب شرطان:

-أن يكون بعض ما قبلها.

-أن يكون غاية لما قبلها في زياد أو نقصان، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير»[10] وإنما جاء العطف في مثل هذا الملفوظ للقوة والتعظيم، فالملفوظ الذي جاء قبل الرابط "حتى" مقدمة لشيء عظيم، فالرسول الذي قصده الإمام هو ملك الموت الذي يأخذ روح العبد، ثم يطرح هذا العبد في القبر وهو القعر المظلمة أقوى وأعظم من المقدمات التي ساقها الإمام قبل الرابط "حتى".

1-1-2 الرابط "بل":

يعد الرابط "بل" من الآليات الحجاجية التي تعمل على الربط بين ملفوظين، وتأتي بل للإضراب، سواء أكان الإضراب إضراب انتقال أو إضراب إبطال، وتسهم "بل" في إنشاء السلم الحجاجي من خلال النفي الذي يأتي قبلها، ويعد ما قبلها درجة أولى في السلم، وما بعدها أعلى

درجات السلم؛ لما يحمله من قيمة إقناعية.[11] وقد استعمل الإمام عليّ في خطبه هذا الرابط ومن ذلك قوله:

«هذا أخو عامد قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسارحها وقتل منكم رجالا صالحين، ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم، فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان به عندي جديرًا، فواعجبًا من جد هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم».[12]

يمكن أن نلاحظ من خلال هذا الملفوظ أنه يحوي بنيتين وأداة رابطة بينهما، ونمثل لهمها على النحو التالي:

م1: فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما.

الأداة: "بل".

م2: كان به عندي جديرًا.

وجاء الانتقال من الملفوظ 1 إلى الملفوظ 2 من خلال الأداة "بل" التي أسهمت في إنشاء ملفوظ حجاجي، والإضراب التي أحدثته "بل" هو إضراب انتقال؛ حيث انتقل من الملفوظ 1 إلى الملفوظ 2 من دون إبطال لما قبلها، فالإمام رضي الله عنه يؤمن بأن من مات بأسفه على ما أحدثه أخو عامد من الغزو فيهم وقتل الصالحين منهم لا يقع عليّه اللوم، وإنما كان جديرا بالموت أسفا، لأن ذلك مما يدل على حياة قلبه وغيرته على المسلمين وأعراضهم وأموالهم ودمائهم.

1-1-3 الرابط "لكن":

يدرج هذا الرابط للاستدراك، حيث إن «التلفظ بأقوال من نمط "أ لكن ب" يستلزم أمرين اثنين:

- أن المتكلم يقدم "أ" و "ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن" والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي "لا-ن".

- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته»[13] وقد ورد استخدام الإمام لهذا الرابط في قوله:

«أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش إن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل منهم أحد أشد لها مراسًا وأطول تجربة مني، لقد مارستها وأنا ابن عشرين، فها أنا ذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع».[14]

نلاحظ أن هناك تعارضا حجاجيا بين ما يسبق الرابط وما يأتي بعده؛ فالجزء الأول من الخطاب "قالت قريش إن ابن أبي طالب شجاع" يتضمن نتيجة من قبيل "شجاعة عليّ رضي الله عنه"، والجزء الثاني "لا علم له بالحرب" يخدم نتيجة مضادة للنتيجة الأولى: "**لا-ن**"؛ أي تخدم نتيجة من قبيل: "جهل عليّ رضي الله عنه بشؤون الحرب"؛ ذلك «أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "**لا-ن**"».[15]

2-1 العوامل الحجاجية:

لا تربط العوامل الحجاجية «بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر»[16]، فالعوامل يتضح عملها من خلال حصر وتقييد مجموع الإمكانات التي تتوفر عليّها المقولات داخل العملية الحجاجية.

1-2-1 العامل "لا...إلا":

يقوم العامل الحجاجي "لا...إلا" على حصر الإمكانات المتوفرة داخل الملفوظ، ويعمل على توجيه ذهن المتلقي إلى ما يريده المخاطِب منه؛ حيث «يعد النفي والاستثناء بـ (إلا) عاملا حجاجيا مهما بما يقصر من شيء على شيء آخر في بنية النص، وتكون الفكرة المشتركة بين كل من المرسل والمتلقي هي المسار المؤدي إلى نتيجة ما»[17]، وذلك من خلال ما يتوفر عليّه هذا العامل من وظيفة القصر التي يؤديها، ونجد أن الإمام رضي الله عنه يستخدم مثل هذه العوامل في مثل قوله:

«وليَّ عثمان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا ما كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه، ثم أتيتموني فقلتم لي: بايعنا، فقلت لكم لا أفعل، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتم كفي فجذبتموها وقلتم: لا نرضى إلا بك، ولا نجتمع إلا عليّك».[18]

فجعل الإمكانات الكثيرة في الملفوظ مقيدة وحصرها بهذا العامل، وقيدوا رضاهم لولي الأمر في عليّ رضي الله عنه، واجتماعهم به، فانصرف ذهن المتلقي عن كونهم يرضون غيره، ويجتمعون مع سواه، وتيقن المخاطَب بأنهم إنما أرادوا حصر هذا الرضى والاجتماع في شخص "عليّ رضي الله عنه" دون سواه.

2-2-1 العامل "إنما":

يعد العامل "إنما" موجها مقيدا للإمكانات؛ حيث «ينهض العامل الحجاجي "إنما" في النص مُظهرا معنى ثابتا، وذلك بتقييده وجعله مؤكدا به، مما يكسب الخطاب نوعًا من ترتيب

الحجة وتقويتها»[19]، فيعمل هذا الرابط على تأكيد المعنى وتقييده وتوجيه المتلقي نحو نتيجة معينة، وقد جاء استعمال هذا العامل في قول الإمام رضي الله عنه:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها العصمة من كل ضلال والسبيل إلى كل نجاة، فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحها وتضمنتها أجداثها، فلن يستقبل معمر منكم يوما من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله، وإنما دنياكم كفيء الظل أو زاد الراكب».[20]

استعمل الإمام هذا العامل الحجاجي والذي يعد من أساليب القصر لأنه يأتي «لخبر لا يجهله المخاطَب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة»[21]، فمتلقي هذا الخطاب لا يجهل حقيقة أن الدنيا كفي ظل أو زاد راكب، وذلك أن الجميع عاين حقيقة الدنيا في غيره، ويرون حقيقتها الزائلة، وكيف يتخطف الموتُ الناسَ فلا يَبْقَى لهم أثر، ولكن الإمام أنزل المخاطبين منزلة من يجهل الخبر، فكان حق ذلك أن يخاطبهم بهذا العامل، وهذا ما أسهم في تشكل البنية الحجاجية لهذا الملفوظ.

2-أنواع الحجج في خطب الإمام "عليّ رضي الله عنه":

2-1 الحجج شبه المنطقية:

2-1-1 التعريف:

يكون التعريف بإقامة التقابل بين المعرَّف والمعرِّف، حيث «يقوم المرء باستعمال حجاجي للتطابق حين يدعى بفضل تعريف ما أن المعرَّف يتطابق مع المعرِّف»[22] وتستند التعريفات على التعويض، ذلك أنها «تسعى إلى التعامل مع اللفظ المعرف والعبارة التي تعرفه على أنهما قابلان لأن يعوض أحدهما الآخر»[23]، وعلى هذا يستمد التعريف قوته الحجاجية من خلال هذا التقابل الحاصل بين المعرَّف والمعرِّف، والتعويض الذي يستند على التطابق، وقد ورد استعمال التعريف في قول الإمام رضي الله عنه:

«الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وأشمله البلاء وألزمه الصغار وسامه الخسف ومنعه النصف»[24]، فجعل الجهاد معرَّفا، وما وُصِفَ به معرِّفا، ونمثل لذلك على النحو التالي:

المعرَّف: الجهاد.

المعرِّف: باب من أبواب الجنة.

نلاحظ أن الإمام يقدم تعريفا على غير ما يقدمه العلماء والدارسون، ذلك أن حجة التعريف لا تبحث فقط على إقامة تعريف مكان هذا الملفوظ، وإنما غاية هذه الحجة أن تؤثر في المتلقي لهذا التعريف، ولذلك قدم الإمام تعريفه من خلال جعله مؤثرا في المخاطَب.

2-1-2 الحجج القائمة على علاقة التعدية:

تقوم هذه الحجج على مبدأ التعدية العلائقية داخل البنى الحجاجية، فإن «من أهم علاقات التعدية ذات الصبغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمين Relation d'implication، وهي العلاقة المنطقية التي تبين أن قضية تتضمن قضية أخرى»[25]، وتنطلق هذه الحجة من الخاصية الشكلية الصورية وتندرج تحتها، فهي «خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين "أ و ب" من ناحية و "ب و ج" من ناحية أخرى هي علاقة استنتاج، وأن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين "أ و ج"»[26] فتتعدى العلاقة من "أ" إلى "ج" من خلال تطابق العلاقة بين "أ و ب" و "ب و ج".

وجاء استعمال مثل هذه الحجج في قول الإمام:

«إني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارًا وسرًا وإعلانًا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليّكم قولي، فاتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليّكم الغارات».[27]

وفي قوله: «فإذا أمرتم بالمسير إليهم في أيام الحر قلتم: "حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر"، وإذا أمرتم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء قلتم: "أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر"، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال».[28]

نلاحظ أن الملفوظين يتضمنان قضية أخرى غير مصرح بها، فهي قضية مضمرة يمكن استنتاجها من خلال قلب الملفوظ، حيث صرح المخاطِب في الملفوظ الأول بأنه دعاهم إلا الغزو، ونبههم إلى أن من غزي في عقر داه خسر وذل، ولم يصرح بأنهم جبناء يخشون الموت، وفي الملفوظ الثاني صرح بأنه كلما أمرهم بالسير إلى الغزو والجهاد وجدوا لهم حجة يتعللون بها حتى لا يخرجون للقتال، ولم يصرح بأن ذلك من جبنهم وتخاذلهم وتقاعسهم في طلب عدوهم.

3-1-2 تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:

ذلك من خلال تقسيم الكل المجمل إلى وحدات حجاجية تنطوي تحته، وتسمى بحجج التقسيم أو التوزيع[29]، ويمكن أن نمثل لذلك من خلال قول الإمام:

«أحذركم دعاء العزيز الجبار عبده، يوم تعفى أثاره ويوحش منه دياره ويؤتم صغاره، ثم يصير إلى حفير من الأرض متعفرا على خده، غير موسد ولا ممهد».[30]

فجعل الكل هو دعاء العزيز عبده، وقسم هذا الكل إلى وحدات حجاجية تنطوي تحته، وهي كالآتي:

الكل: دعاء العزيز الجبار عبده.

الأجزاء: **ج1**: يوم تعفى أثاره، **ج2**: يوحش منه دياره، **ج3**: يؤتم صغاره، **ج4**: يصير إلى حفير من الأرض متعفرا على خده، غير موسد ولا ممهد.

نلاحظ أن الأجزاء تتضافر لتخدم الكل، ذلك أن العبد حين تعفى آثاره ويوحش منه دياره، ويؤتم صغاره ويصير إلى القبر إنما ذلك كله دعاء العزيز الجبار إياه.

2-2 الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

2-2-1 الوصل السببي:

يعد الوصل السببي أحد تقنيات الحجاج، يهدف إلى الربط بين حدثين متتابعين أو إلى استخلاص السبب من الحدث أو إلى بناء تكهني بما سيكون من نتائج.[31] يمكن أن نمثل لهذا النوع من الحجج بما ورد في خطب الإمام رضي الله عنه في قوله:

«أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل وترك الأمل، فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله».[32]

وفي قوله: «أيها اللاهي الغار بنفسه كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرع لك بابا، ولا يهاب لك حجابا، ولا يقبل منك بديلا، ولا يأخذ منك كفيلا، ولا يرحم لك صغيرا، ولا يوقر فيك كبيرًا، حتى يؤديك إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية».[33]

نلاحظ أن المخاطِب قد ربط بين بنيات الملفوظ ربطا سببيا؛ فالملفوظ الأول يحوي بنيتين هما:

م1: من فرط في عمله.

م2: لم ينتفع بشيء من أمله.

فجعل السبب هو تفريط المرء في العمل، والنتيجة هي عدم الانتفاع من أمله.

كما يحوي الملفوظ الثاني بنيتين هما:

م1: أتاك رسول ربك لا يقرع لك بابا، ولا يهاب لك حجابا، ولا يقبل منك بديلا، ولا يأخذ منك كفيلا، ولا يرحم لك صغيرا، ولا يوقر فيك كبيرًا.

م2: يؤديك إلى قعر مظلمة.

فربط بينهما ربطا سببيا، وكانت بنية الملفوظ الأول سببا، وبينة الملفوظ الثاني نتيجة.

2-2-2 حجة الاتجاه:

تقوم هذه الحجة على بنية التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية أو التحذير من انتشار ظاهرة معينة[34]، وقد استعمل الإمام هذا النوع من الحجج في قوله:

«قبحا لكم وترحا حين صرتم غرضًا يرمى يغار عليّكم ولا تغيرون، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتم بالمسير إليهم في أيام الحر قلتم: "حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر"، وإذا أمرتم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء قلتم: "أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر"، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال»[35]، بنى الإمام خطابا حجاجيا اتبع فيه حجة الاتجاه حتى يؤثر في المخاطبين؛ فحذرهم من سياسة التنازلات التي يقدمونها، والتي تتمثل في تحججهم في كل مرة بحجج واهية حتى لا يخرجون إلى الغزو والجهاد، وحذرهم من انتشار مثل هذا الفعل الشنيع الذي أدى بهم إلى التقاعس، وعدم المبادرة إلى الجهاد في سبيل الله.

3-2 الحجج المؤسِسة لبنية الواقع:

1-3-2 تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

يظهر المثل كبنية حجاجية في الحالات الخاصة، ويؤتى به حين لا توجد المقدمات[36]، ونجد الإمام يستخدم مثل هذا النمط الحجاجي في خطبه ومن ذلك قوله:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها العصمة من كل ضلال والسبيل إلى كل نجاة، فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحها وتضمنتها أجداثها، فلن يستقبل معمر منكم يوما من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله».[37]

يقدم الإمام من خلال هذا الملفوظ بناء حجاجيا مستندا على الحجاج بواسطة الحالات الخاصة، وقد تمثلت الحالة ها هنا في الربط بين وصيته بتقوى الله واستحضاره حالة الناس يوم يدركهم الموت، وأنهم سيكونون جثثا غادرتها أرواحها وضمها القبر، فكانت هذه الحجة مؤسِسة لبنية الواقع، حيث إن المخاطَب يعلم يقينا هذه الحالة، وقد عاين صورتها بنفسه.

2-3-2 الاستدلال بواسطة التمثيل:

يعد هذا الأسلوب الحجاجي من أهم وسائل الإقناع، يتمركز على أساس المشابهة على مثيل له، ويذهب الجرجاني إلى أن التمثيل «إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه نقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها»[38]، والتمثيل يكتسب قيمة حجاجية «حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى، وصيغة هذا التماثل

العامة هي: إن **[أ]** يمثل إلى العنصر **[ب]** ما يمثله العنصر **[ج]** بالنسبة إلى العنصر **[د]**»[39]، وقد استعمل الإمام مثل هذا الاستدلال في مثل قوله:

«فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحها وتضمنتها أجداثها، فلن يستقبل معمر منكم يوما من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله، وإنما دنياكم كفيء الظل أو زاد الراكب»[40]، يمكن أن نستخلص بنية الملفوظ الحجاجي بالتمثيل على النحو التالي:

[أ] = المؤمن.

[ب] = الدنيا.

[ج] = المسافر.

[د] = الاستراحة / الزاد.

إن العلاقة بين هذه العناصر ليست علاقة تشابه بل هي تشابه في العلاقة؛ حيث إن علاقة **[أ]** بـ **[ب]** أي علاقة المؤمن بالدنيا الزائلة تشبه علاقة [ج] بـ [د] أي علاقة المسافر بظل الشجر الذي يستريح تحته، أو بالزاد الذي يأكله وقت سفره، ويسمى **[أ]** و **[ب]** بالموضوع، في حين يسمى **[ج]** و **[د]** بالرافعة أو الحامل.[41]

خاتمة:

عرض البحث نماذج من خطب الإمام عليّ رضي الله عنه فوقف على عدة نتائج أهمها:

بنى الإمام رضي الله عنه خطبه على سلمية حجاجية، وذلك أنه رام أن يؤثر في متلقي هذه الخطب، ويحملهم على الإذعان لما يعتقده ويراه.

أسهمت الآليات الحجاجية اللغوية في ربط الحجج بعضها ببعض، وقد تضافرت هذه الروابط الحجاجية لتشكيل خطاب يحمل سمة التأثير والإقناع، كما أسهمت العوامل الحجاجية في قصر الإمكانات الممكنة، وتوجيه ذهن المخاطَب نحو وجهة معينة.

وظف الإمام كثيرا من الحجج المنطقية وشبه المنطقية ونوّع منها وذلك بحسب أحوال المخاطبين، فأسهم هذا التنوع في إثراء الجانب الحجاجي للخطب، وكانت ذات نمط حجاجي إقناعي.

إن المقاصد الحجاجية تبرز في خطب الإمام عليّ رضي الله عنه بشكل واضح، وذلك راجع إلى المرامي التي أرادها منشئ هذه الخطب، وهي التأثير في المخاطبين من خلال سلطة اللغة.

الهوامش:

[1] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص: 128.

[2] عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص: 250.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 464.

[4] عبد العزيز مصباحي، الحجاج والوظائف التداولية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد 08، العدد 10، ص: 200.

[5] ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجا، تق: عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص: 41.

[6] المرجع نفسه، ص: 40.

[*] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة إلى عدنان. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، أول من أسلم من الصبيان، كما أن أبا بكر هو أول من أسلم من الرجال، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن الستة أصحاب الشورى، وقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صغره ومنذ أسلم، وهو رابع الخلفاء الراشدين باتفاق المسلمين من الصحابة والتابعين إلى يوم الدين. موقع الألوكة: www.alukah.net

[7] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط01، 2006م، ص: 27.

[8] عز الدين ناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، ط1، 2011م، ص: 134.

[9] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د، ط)، 2012م، ص: 14.

[10] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 72.

[11] عز الدين ناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 141، 142.

[12] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[13] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 58.

[14] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[15] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 59.

[16] المرجع نفسه، ص: 27.

[17] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2015م، ص: 108.

[18] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 17.

[19] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص: 113.

[20] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 16.

[21] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 330.

[22] الحسن بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2014م، ص: 62.

[23] المرجع نفسه، ص: 62.

[24] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[25] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، ط1، 2011م، ص: 47.

[26] المرجع نفسه، ص: 46.

[27] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[28] المصدر نفسه، ص: 15.

[29] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 48.

[30] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[31] عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م، ص:171.

[32] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 14.

[33] المصدر نفسه، ص: 14.

[34] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 51.

[35] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 15.

[36] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 54.

[37] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 16.

[38] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تع: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص: 92، 93.

[39] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 58.

[40] سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص: 16.

[41] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 57، 58.